

التوجيه النحوي للقراءات عند السّمين الحلبي
es-Semin el-Halebi ve Kiraât

Mustafa YOUSEF (*)

ملخص المقالة

إنّ موضوع التوجيه النحوي للتفسير وللقراءات القرآنية من الأهمية بمكان؛ فهو يكشف عن وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم من جهة، ويساعد الدّارس لتفسير كتاب الله تعالى على فهم الآيات القرآنية من جهة أخرى. كما أنّ التوجيه النحوي للقراءات يساعد الفقيه على استنباط الأحكام الشرعية من الآيات، فقد يكون للقراءات المتعدّدة دلالة على أحكام متعدّدة، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم وإيجازه.

وقد اعتنى السّمين الحلبي في كتابه "الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون" عناية بالغة بهذا الأمر، وساعده على ذلك تجرّبه في علمي القراءات والنحو. ومنهجه في القراءات عموماً وفي مسألة التوجيه النحوي لها ممّا يستحقّ أن يُدرس وأن يبحث فيه لما فيه من فوائد نحوية وتفسيرية جمة.

كلمات مفتاحية: السّمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، القراءات القرآنية، التوجيه النحوي.

*Es-Semîn el-Halebinin ed-Dürri'ül-Mesûn Fi Ulûmi'l-Kitâbi'l-Meknûn İsimli
Tefsirindeki Kiraatlerin İ'râb Vecihleri*

Öz

Tefsir ve Kur'ân kıraâtlarındaki i'râb vecihleri çok önemlidir. Çünkü o bir yandan Kur'ân-ı Kerim'in icazının belagat yönlerini açıklarken diğer yandan araştırmacının Allah Teâlâ'nın kitabını tefsir etmesi için Kur'ân âyetlerini anlamasına yardımcı olur. Ayrıca kıraâtlardaki i'râb vecihleri fakihin âyetlerden şeri hükümler çıkartmasına yar-

*) Sakarya Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü. (e-posta: mustafa.yusuf@hotmail.com)

dımcı olur. Bir ayetin farklı kıraâtları farklı hükümlere delalet edebilir. Bu da Kur'ân-ı Kerim'in i'câzına ve i'câzın bir alt konusu olan icâza delildir.

Es-Semîn el-Halebi kitabında bu konuya çok önem vermiştir. Bu konuda ona kıraât ve nahiv ilimlerindeki yetkinliğine yardımcı olmuştur. Onun genelde kıraâtlarla özeldede kıraâtlardaki i'rab vecihleri ile ilgili metodu, tefsiri ve nahvi birçok fayda içerdiği için kendisiyle ilgili çalışmalar ve araştırmalar yapılmasını hak eden bir metottur.

Anahtar Kelimeler: *es-Semîn el-Halebi, Kur'ân Kıraâtları, ed-Dürri'l- Mesûn Fi Ulûmi'l-Kitâbi'l-Meknûn, Kıraâtlardaki i'rab Vecihleri.*

Assamin Alhalaby and the variation of I'rab in Tafseer and Qira'at of the Qur'an

Abstract

The variation of i'rab in Tafseer and qira'at of the Qur'an is very important. It helps to explain the aspects of balaghat in the i'jaz of the Qur'an and at the same time, it helps researchers to understand the verses of the Qur'an for Tafseer purpose. Variations of i'rab help faqih (Islamic legal expert) to deduce sharia rulings from the verses of the Qur'an; for example, variation in the qira'at of the verses may lead to a variation in sharia rulings. This is itself serves as proof for the i'jaz of the Qur'an and to the art of i'jaz itself as subtopic of i'jaz of the Qur'an.

Assamin Alhalaby gave special attention to above-mentioned issue in his tafseer. His deep knowledge of various qira'at and the knowledge of Arabic language was great help for him in this matter. In general, his methodology in relation to qiraat as a whole and more specifically in relation to i'rab variations in qira'at, his tafseer, and his knowledge of Arabic grammar contain deep knowledge of all these fields, which render the study of his methodology worth for academic effort.

Keywords: *Assamin Alhalaby, ed-Dürri'l- Mesûn Fi Ulûmi'l-Kitâbi'l-Meknûn, qiraats of the Qur'an, i'rab variations in qiraat of the Qur'an.*

المقدمة:

أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود النحوي المعروف بالسّمين الحلبي

وُلد في مدينة حلب في سورية ونشأ فيها حيث تعلم القراءات وبرع فيها، وسمع الحديث،

ورحل إلى مصر واكتسب منها الكثير من العلوم وخاصة النحو والقراءات بجامع ابن طولون

وجامع الإمام الشافعي بالقاهرة، وقرأ الحروف السبعة بالإسكندرية على أحمد بن محمد

العشّاب، وألّف تفسيرًا عظيمًا سماه "الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون"، وشرح الشاطبية شرحًا لم يسبق مثله، ومن أشهر مؤلفاته أيضًا شرح التسهيل، والقول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. توفي السّمين الحلبي في القاهرة في شهر جمادى الآخرة سنة 756هـ، ولا يعرف عمره إذ لم تذكر كتب التاريخ والتراجم تاريخ ميلاده¹.

التوجيه لغة واصطلاحًا: جاء في لسان العرب: (الوجه معروف: والجمع وجوه وأوجه ووجه كل شيء مستقبله، وفي التنزيل: ﴿فَأَيُّمًا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾². وفي الحديث: {لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً}³. أي ترى له معاني يحتملها فتهاج الإقدام عليه. ووجه إليه كذا: أرسله ووجهته في حاجة، ووجهت وجهي لله، وتوجهت نحوك وإليك، وشيء موجة إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف⁴ وفي الاصطلاح: هو الاستدلال على صحة القراءات والدفاع عنها بما ورد من أدلة من الشعر، أو النحو، أو اللغة، أو النظر أو غير ذلك لدفع شبه الخصم⁵.

¹ الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج8، ص186.

² هي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمًا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. البقرة 115.

³ الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ، باب العلم، 255/11 حديث رقم 20473.

⁴ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة وجه، 555/13،

⁵ عبد الرحمن الجمل، منهج الإمام الطبري في القراءات، رسالة دكتوراه بإشراف: د. فضل حسن عباس. الجامعة الأردنية،

التوجيه النحوي للقراءات عند السّمين الحلبي:

يورد السّمين الحلبي في سياق تفسيره توجيهه لبعض القراءات التي تتعلق بإعراب الكلمة مستنداً إلى ما يوافق سياق تفسيره لمعنى الآية تارة، وما خلص إليه من آراءٍ لبعض النحاة ومدارسهم تارة أخرى. وسأتناول ذلك من خلال الحديث عن المرفوعات، والمنصوبات، والتوابع، وسأستشهد بمثالٍ واحدٍ على كلٍ منها بما يوفي بغرض المقالة ويبعد عن التطويل.

المرفوعات: الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ، الخبر، اسم كان، خبر إنّ.

الفاعل:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يُعْقَبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾⁶ يقول

الحلبي:

(قوله: "يرثني ويرث": قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الفعلين على أنهما جواب للأمر إذ تقديره: إن يَهَبْ يَرِثُ. والباقون برفعهما على أنهما صفة لـ "ولي". وقرأ عليّ وابن عباس والجحدري "يرثني وارث" جعلوه اسم فاعل، أي يرثني به وارث، ويسمى هذا "التجريد" في علم البيان)⁷.

⁶ مريم 6

⁷ السّمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج7، ص567.

هنا نجد السّمين الحلبي يوجه قراءة "يرثني وارثٌ من آل يعقوب". وهي قراءة عليّ، وابن عباس والجحدريّ، وجعفر بن محمد، وابن يعمر، والحسن، وقتادة، وأبي نهيك⁸، على طريقة التجريد. ويقول بقول ابن جنّي في الخصائص عن هذه القراءة، حيث يقول ابن جنّي عند حديثه عن هذه القراءة: (هذا هو التجريد، وذلك أنّه يريد: "وهب لي من لدنك ولياً يرثني وارثٌ من آل يعقوب" وهو الوارث نفسه، فكأنّه جرد منه وارثاً)⁹. أمّا معنى التجريد فقد بيّنه ابن جنّي بقوله: (معناه أنّ العرب قد تعتقد أنّ في الشيء من نفسه معنى آخر كأنّه حقيقته ومحصوله وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها)¹⁰.

نائب الفاعل:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾¹¹ يقول تعليقا على هذه الآية: ("يُسَبِّحُ" قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء مبنياً للمفعول، والقائم مقام الفاعل أحدُ المجرورات الثلاثة. والأولى

⁸ انظر: أبو حيان، البحر المحیط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 174/6، ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبّي، القاهرة. ص86، الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 274/2، الألوسي، روح المعاني، تحقيق علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 174/16، الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 182/21.

⁹ أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 465/2.

¹⁰ ابن جنّي، الخصائص 473/2.

¹¹ النور 36-37.

منها بذلك الأول لاحتياج العامل إلى مرفوعه، والذي يليه أولى. و"رجال" على هذه القراءة مرفوع على أحد وجهين: إما بفعل مقدر لتعذر إسناد الفعل إليه، وكأنه جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: من يسبّحه؟ فقيل: يسبّحه رجال. والثاني: أنّ "رجالاً" خبر مبتدأ محذوف أي: المُسبِّحَة رجال. وعلى هذه القراءة يوقَّف على الآصال. وباقي السبعة بكسر الباء مبنياً للفاعل، والفاعل "رجال" فلا يوقف على الآصال)¹²

وهنا يشير السّمين الحلبي إلى قراءة "يُسَبِّحُ" على البناء للمفعول، والتي تستوجب وجود نائب فاعل، وقد أسند الفعل إلى أحد الظروف وهي: "له" و "فيها" و"بالغدو". ونائب الفاعل هو أحد هذه الظروف، أمّا قراءة البناء للفاعل فيكون الجارّ "في بيوت" متعلق بالفعل "يُسَبِّحُ" التالي، وجملة "أذن الله" نعت لـ "بيوت"، والمصدر "أن ترفع" منصوب على نزع الخافض "في" وجملة "يُسَبِّحُ" مستأنفة، والجاران "فيها" و "بالغدو" متعلقان بالفعل و "رجال" على قراءة "يسبِّحُ" على البناء للمفعول فاعل لفعل مضمر على تقدير الاستفهام عن المسبِّح، أي من الذي يسبِّح؟ فيكون الجواب: رجال.

المبتدأ:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾¹³.

¹² السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج8، ص410.

¹³ الطلاق 2-3

يقول الحلبي في تعليقه على الآية: (قوله: "بالغ أمره": قرأ حفص "بالغ" من غير تنوين، "أمره" مضاف إليه على التخفيف. والباقون بالتنوين والنصب وهو الأصل خلافاً للشيخ. وقرأ ابن أبي عتبة وداود بن أبي هند وأبو عمرو في رواية «بالغ أمره» بتنوين «بالغ» ورفع «أمره» وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون «بالغ» خبراً مقدماً، و «أمره» مبتدأ مؤخر. والجملة خبر «إن» والثاني: أن يكون «بالغ» خبر «إن» و «أمره» فاعل به¹⁴.

هنا يذكر السّمين الحلبي قراءة "بالغ أمره" برفع وتنوين "بالغ" على أنه خبر إن، ونصب "أمره" على أنه مفعول به لاسم الفاعل "بالغ" ثم ذكر قراءة الرفع وهي "أمره" على أنه مبتدأ و"بالغ" خبر مقدّم والجملة خبر إن، أي "أمره" مرتفع على الفاعلية، أي نافذ أمره.

الخبر:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾¹⁵ يقول الحلبي: (وقرأ ابن أبي عتبة والضحاك برفع "بعوضة"، واتفقوا على أنها خبر لمبتدأ، ولكنهم اختلفوا في ذلك المبتدأ، فقيل: هو "ما" على أنها استفهامية، أي: أي شيء بعوضة، وإليه ذهب الزمخشري ورجّحه. وقيل: المبتدأ مضمّر تقديره: هو بعوضة، وفي ذلك وجهان، أحدهما: أن تجعل هذه الجملة صلة لـ

¹⁴ السّمين الحلبي، الدر المصون، ج10، ص353.

¹⁵. البقرة 26.

"ما" لكونها بمعنى الذي، ولكنه حذفت العائد وإن لم تطل الصلة، وهذا لا يجوز عند البصريين إلا في "أي" خاصة لطولها بالإضافة، وأمّا غيرها فشاؤ أو ضرورة¹⁶.

وهنا يذكر السّمين الحلبي قراءة الرفع لكلمة "بعوضة" على أنها خبر، والجمهور بنصبها¹⁷.

اسم كان:

عند تفسير آية المداينة وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾¹⁸. يقول الحلبي في القراءات الواردة في كلمة "تجارة": (قوله: "إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً" في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه متصلٌ قاله أبو البقاء. والجملة المستثناة في موضع نصبٍ لأنه استثناء من الجنس لأنه أمرٌ بالاستشهاد في كلِّ معاملةٍ، واستثنى منها التجارة الحاضرة، والتقدير: إلا في حال حضور التجارة. والثاني: أنه منقطع، قاله مكي ابن أبي طالب. و"أَنْ" في موضع نصبٍ على الاستثناء المنقطع. قلت: وهذا هو الظاهر، كأنه قيل: لکن التجارة الحاضرة فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها.

وقرأ عاصم هنا "تجارة" بالنصب، وكذلك "حاضرة" لأنها صفتها، وفي النساء وافقه الأخوان والباقون قرؤوا بالرفع فيهما. فالرفع فيه وجهان، أحدهما: أنها التامة أي: إلا أن

¹⁶ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج1، ص225.

¹⁷ محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى، 24/2.

¹⁸ البقرة 282.

تَحَدَّثَ أو تَقَعَ تجارَةً، وعلى هذا فتكون "تُدَيرونها" في محلِّ رفعٍ صفةً لتجارةٍ أيضاً، وجاء هنا على الفصيح حيث قدّم الوصفَ الصريحَ على المؤول.

والثاني: أن تكونَ الناقصةً، واسمُها "تجارةٌ" والخبرُ هو الجملةُ من قوله: "تُدَيرونها" كأنه قيل: إلا أن تكونَ تجارةً حاضرةً مدارّةً، وسوّغَ مجيءَ اسمٍ كان نكرةً وصفه، وهذا مذهبُ الفراء وتابعه آخرون.

وأما قراءةُ عاصمٍ فاسمُها مضمّرٌ فيها، فقيل: تقديرُه: إلا أن تكونَ المعاملةُ أو المبايعةُ أو التجارةُ. وقدّره الزجاجُ إلا أن تكونَ المداينةُ، وهو أحسنُ¹⁹

يوجّه السّمين الحلبي هنا قراءة "تجارة" بالرفع على أنّها اسم كان، وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائي، على أنّ "تكون" تامّة و"تجارة" فاعل²⁰. وأما قراءة النصب "تجارة" فهي قراءة عاصم على أنّ "تكون" ناقصة واسمها ضمير و"تجارة" خبر.²¹

خبر إن:

¹⁹ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج2، ص673.

²⁰ أبو حيان، البحر المحيط (357/2). عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 2000م،

445/1.

²¹ الخطيب، معجم القراءات 445/1.

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾²² يقول السمين الحلبي في توجيهه القراءات في الآية: (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ: في "ما" هذه ثلاثة أوجه، أحدها: أنها موصولة بمعنى الذي، والعائدُ محذوفٌ، وهو المفعولُ الأول. و "أَوْثَانًا" مفعولٌ ثانٍ. والخبرُ "مَوَدَّةٌ" في قراءةٍ مَنْ رَفَع. والتقدير: إِنَّ الذي اتَّخَذْتُمُوهُ أَوْثَانًا مَوَدَّةً، أي: ذو مودةٍ، أو جُعِلَ نَفْسَ المودةِ، ومحذوفٌ على قراءةٍ مَنْ نَصَبَ "مَوَدَّةً" أي: إِنَّ الذي اتَّخَذْتُمُوهُ أَوْثَانًا لِأَجْلِ المودةِ لَا يَنْفَعُكُمْ، أو "يَكُونُ عَلَيْكُمْ"، لدلالةِ قولِهِ: "تَمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ".

الثاني: أَنْ تُجْعَلَ "ما" كAFFةً، و "أَوْثَانًا" مفعولٌ به. والاتخاذ هنا متعدٍ لواحدٍ، أو لاتنين، والثاني هو "مَنْ دُونَ اللَّهِ" فَمَنْ رَفَع "مودةً" كانت خبر مبتدأ مضمراً. أي: هي مودة، أي: ذات مودة أو جُعِلت نفس المودة مبالغةً. والجملة حينئذٍ صفةٌ ل "أَوْثَانًا" أو مستأنفةً. وَمَنْ نَصَبَ كانت مفعولاً له، أو بإضمار أعني.

الثالث: أَنْ تُجْعَلَ "ما" مصدريةً، وحينئذٍ يجوز أن يُقَدَّرَ مضافاً من الأول أي: إِنَّ سببَ اتِّخَاذِكُمْ أَوْثَانًا مَوَدَّةً، فِيمَنْ رَفَع "مودةً". ويجوز أن لا يُقَدَّرَ، بل يُجْعَلُ نَفْسُ الاتِّخَاذِ هو المودة مبالغةً. وفي قراءةٍ مَنْ نَصَبَ يكون الخبرُ محذوفاً، على ما مرَّ في الوجه الأول.

وهنا يذكر الحلبي أحدَ وجوه إعراب كلمة "مودةً" وهو أنها خبر إنَّ على اعتبار أن

"ما" مصدرية.

المنصوبات: المفعول به، المفعول لأجله، المفعول معه، المفعول فيه، المفعول المطلق، خبر كان اسم إنّ، التمييز، الاستثناء.

المفعول به:

عند تفسير قوله تعالى إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿23﴾ يقول السّمين الحلبي: (قوله: "والشمس" قرأ ابن عامر هنا وفي النحل برفع "الشمس" وما عطف عليها ورفع "مُسَخَّرَاتٍ" ، وافقه حفص عن عاصم في النحل خاصة على رفع "والنجوم مُسَخَّرَاتٍ" ، والباقون بالنصب في الموضعين. وقرأ أبان ابن تغلب هنا برفع «النجوم» وما بعدها فقط، كحفص في النحل.

فأما قراءة ابن عامر فعلى الابتداء والخبر، جعلها جملةً مستقلة بالإخبار بأنها مسخرات لنا من الله تعالى لمنافعنا. وأما قراءة الجماعة فالنصب في هذه السورة على عطفها على "السموات" أي: وخلق الشمس، وتكون "مسخرات" على هذا حالاً من هذه المفاعيل. ويجوز أن تكون هذه منصوبة بـ "جَعَلَ" مقدراً، فتكون هذه المنصوبات مفعولاً أول، ومسخرات مفعولاً ثانياً.

وقراءة النصب التي ذكرها السّمين الحلبي "والنجوم مسخرات" هي قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر ويعقوب. ووجهه أنّه عطفٌ بالواو على أوّل الكلام وهو "الليل" و "مسخرات" نصبه على الحال المؤكدة²⁴.

وتفصيل توجيهه "النجوم" إمّا مفعول به لفعل محذوف ينبئ عنه الفعل "سخر" وتقديره جعل و"مسخرات" مفعول به ثان، أو "النجوم" معطوف على ما تقدّم من المنصوبات: "الليل والنهار والشمس والقمر"، و"مسخرات" حال من الكل.

وقد علق القرطبي في تفسيره على تلك الآية بقوله: ("والشمس والقمر والنجوم مسخرات" بالرفع على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب عطفاً على ما قبله. وقرأ حفص عن عاصم برفع "والنجوم مسخرات" مبتدأ وخبر. وقرأ "والشمس والقمر والنجوم" بالنصب، "مسخرات" بالرفع وهي خبر ابتداء محذوف، أي: هي مسخرات. وهي في قراءة من نصبها حال

مؤكدة.²⁵

²⁴ انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 479/5. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 302/2، الخطيب، معجم القراءات، 602/4.

²⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 456/10.

المفعول لأجله:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾²⁶. يقول السّمين الحلبي: (قوله تعالى: "على قَمِيصِهِ": في محل نصبٍ على الحال من "الدّم". قال أبو البقاء: "لأنّ التقدير: جاؤوا بدمٍ كذبٍ على قميصه"، يعني أنه لو تأخّر لكان صفةً للنكرة. وهذا الوجه قد رده الزمخشري فقال: (فإن قلت: هل يجوز أن تكون حالاً متقدمة؟ قلت: لا، لأنّ حال المجرور لا تتقدّم عليه). وهذا الذي رده الزمخشري أحدُ قولي النحاة، وقد صحّ جماعةً، وقرأ العامّة: "كذب" بالذال المعجمة وهو من الوصف بالمصادر فيمكن أن يكونَ على سبيل المبالغة نحو: رجلٌ عدلٌ أو على حذفٍ مضافٍ، أي: ذي كذب، نَسَبَ فِعْلٌ فاعله إليه. وقرأ زيد بن علي "كذباً" فاحتمل أن يكون مفعولاً من أجله واحتمل أن يكونَ مصدرًا في موضع الحال، وهو قليلٌ أعني مجيء الحال من النكرة)²⁷.

وهنا قراءة النصب التي يذكرها السّمين الحلبي هي قراءة زيد بن علي، وابن أبي عبلة، بالنصب على الحال من الواو في "جاؤوا" أي: جاؤوا كاذبين، فهو في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله²⁸.

²⁶ يوسف 18.

²⁷ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج6، ص 457.

²⁸ الخطيب، معجم القراءات، 206/4.

وقال الفراء: (ويجوز في العربية أن تقول: جاؤوا بدمٍ كذباً، كما تقول: جاؤوا بأمرٍ باطلٍ وباطلاً، وحقٍ وحقاً)²⁹. ووجهها هذه القراءة عند أبي السعود هما: النصب على الحالية، أو على المفعول لأجله. قال الألويسي: (وقرأ زيد بن عليّ "كذباً" بالنصب، وخرَجَ على أنه في موضع الحال من فاعل جاؤوا بتأويل كاذبين. وقيل: من دمٍ على تأويل مكذوباً فيه، وفيه أن الحال من النكرة على خلاف القياس، وجوّز أن يكون مفعولاً لأجله، أي جاؤوا بذلك من أجل الكذب)³⁰.

المفعول معه:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ﴾³¹. يقول ما ملخصه: (قوله: "والطير" العامّة على نصبه وفيه أوجه، أحدها: أنه عطفٌ على محلّ "جبال" لأنه منصوبٌ تقديراً. الثاني: أنه مفعولٌ معه. قاله الزجاج. ورُدّ عليه: بأنّ قبله لفظة "معه" ولا يقتضي العاملُ أكثرَ من مفعولٍ معه واحدٍ، إلّا بالبدلِ أو العطفِ لا يُقال: "جاء زيدٌ مع بكرٍ مع عمرو". قلت: وخلافهم في تقضية حالينِ يقتضي مجيئه هنا. الثالث: أنه عطفٌ على "فضلاً" قاله الكسائي. ولا بُدَّ من حذْفِ مضافٍ تقديره: آتيناه

²⁹ أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد النجاشي، دار المصرية للتأليف، مصر، ط1، 206/2.

³⁰ الألويسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200/12.

³¹ سبأ 10.

فضلاً وتسبيح الطير. الرابع: أنه منصوب بإضمار فعلٍ أي: وسَخَرْنَا له الطير، قاله أبو عمرو³².

وكما نرى فإنّ السّمين الحلبي يذكر قراءة "يا جبال أوبي معه والطير" بنصب "الطير" وهي قراءة السبعة ورؤيس، وهو المشهور عن روح والأعرج والحسن وابن إسحاق وأبي جعفر عطفاً على محل "الجبال". واختار النصب أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس والجرمي، والقراءة بالنصب أقوى في القياس من قراءة الرفع عند الأنباري³³. ويذكر السمين الحلبي جواز انتصاب "الطير" على أنّه مفعول معه، وقد أيّد ذلك القرطبي عند تفسيره للآية بقوله: ("والطير" بالرفع قراءة ابن أبي إسحاق ونصر عن عاصم وابن هرمز ومسلمة بن عبد الملك عطفاً على لفظ "الجبال"، أو على المضمر في "أوبي" وحسنه الفصل بـ "مع". والباقون بالنصب عطفاً على موضع "يا جبال" أي: نادينا الجبال والطير. قال سيبويه: وعند أبي عمرو بن العلاء بإضمار فعل على معنى: وسَخَرْنَا له الطير. وقال الكسائي: هو معطوف، أي: وآتينا الطير، حملاً على "ولقد آتينا داود منا فضلاً". قال النحاس: يجوز أن يكون مفعولاً معه، كما

³² السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص 159.

³³ انظر: أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر، ص258، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1427هـ. مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ. 204/2. الخطيب، معجم القراءات، 340/7، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ. 243/4.

تقول: استوى الماء والخشبة. وسمعت الزجاج يجيز: قمتُ وزيداً. فالمعنى: أوبي معه والطير³⁴.

المفعول فيه:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾³⁵. يقول السمين الحلبي: (قوله: "إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا" فيه قولان: أحدهما: أنه استثناء منقطع. والثاني: أنه متصل، قال الزمخشري: "فإن قلت: بَم تَعَلَّقَ" أَنْ يَصَدَّقُوا "وما محلُّه؟ قلت: تَعَلَّقَ بِـ "عليه" أو بِـ "مُسَلَّمَةٌ" كأنه قيل: وَتَجِبُ عَلَيْهِ الدِّيَّةُ أو يَسَلِّمُهَا إِلا حين يتصدقون عليه، ومحلُّها النصب على الظرف بتقديرِ حذفِ الزمان، كقولهم: "اجلس ما دام زيد جالساً" ويجوز أن يكون حالاً من "أهله" بمعنى إلا متصدقين)³⁶.

وهنا نرى أن تخريج السمين الحلبي لهذه القراءة يعني: دية مسلمة إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه، أو حال هم متصدقين عليه. وهو تخريج يوافق سياق الآية.

³⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 435/16.

³⁵ النساء 92

³⁶ السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص71.

المفعول المطلق:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾³⁷. يقول السّمين الحلبي: (وقرأ ابنُ عامر بضمّ النون وسكون الشين وهي قراءةُ ابن عباس و زر ابن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي وابن مصرف والأعمش ومسروق. وقرأ الأخوان: "تُشْرًا" بفتح النون وسكون الشين.

ووجهها: أنها مصدرٌ واقعٌ موقعَ الحال بمعنى ناشرة أو منشورة أو ذات نشر كل ذلك على ما تقدّم في نظيره. وقيل: نُشْرًا مصدر مؤكّد؛ لأنَّ أرسل وأنشر متقاربان. وقيل: نُشْرًا مصدر على حذف الزوائد أي: إِنْشَارًا، وهو واقعٌ موقعَ الحال أي: مُنْشِرًا أو مُنْشَرًا حسب ما تقدّم في ذلك)³⁸.

يذكر السّمين الحلبي هنا قراءة "تُشْرًا" بالنون المضمومة وسكون الشين، وهي قراءة عبد الله ابن مسعود وابن عباس و زر بن حبيش وابن وثاب وإبراهيم النخعي وطلحة بن مصرف والأعمش ومسروق وقتادة وسهل بن شعيب وعاصم الجحدري وأبي رجاء والحسن بخلاف عنه وأبي عبد الرحمن وابن عامر³⁹.

³⁷ الأعراف 57.

³⁸ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج5، ص349.

³⁹ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 269/2-270، البناء، إتحاق فضلاء البشر، ص 266، النحاس، إعراب القرآن، 619/1، الخطيب، معجم القراءات، 77/3.

وقد وجّه السمين الحلبي هذه القراءة على أنّ "تشرّاً" مصدر بمعنى ناشرات، وهي في موقع الحال أو المفعول المطلق. وقد ذكر السمرقندي ما ذكره أبو السعود في توجيه قراءة "تشرّاً" بالنون والنصب فقال: ومن قرأ "تشرّاً" بالنون والنصب فيكون معناه "يرسل الرياح" تنشر السحاب نشرّاً⁴⁰. وهي إشارة إلى المفعول المطلق كما ذكر السمين الحلبي.

خبر كان:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾⁴¹. يقول السمين الحلبي: (قوله تعالى: "كَانَ سَيِّئُهُ": قرأ ابنُ عامرٍ والكوفيون بضمّ الهمزةِ والهاءِ، والتذكيرِ، وتَرَكَ التّونين. والباقون بفتح الهمزة وتاءِ التّانيث منصوبَةً منونَةً. فالقراءةُ الأولى أشير فيها بذلك إلى جميع ما تقدّم، ومنه السيئُ والحسنُ، فأضاف السيئُ إلى ضميرِ ما تقدّم، ويؤيّدُها ما قرأ به عبدُ الله: "كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَاتِهِ" بالجمعِ مضافاً للضميرِ، وقراءةُ أَبِي "خبيثُهُ" والمعنى: كَلُّ ما تقدّمَ ذِكرُهُ ممّا أمرتُمُ به ونهيتُمُ [عنه] كان سَيِّئُهُ -وهو ما نُهيئُمُ عنه خاصّةً -أمراً مكروهاً. هذا أحسنُ ما يُقدَّرُ في هذا المكان. و "مكروهاً" خبر "كان"، وحُمِلَ الكلامُ كُلُّهُ على لفظِ "كَلِّ" فلذلك ذَكَرَ الضميرَ في "سَيِّئُهُ"، والخبرُ وهو: مكروهه وأمّا قراءةُ الباقيين: فتحتملُ أن تقعَ الإشارةُ فيها بِـ "ذَلِكَ" إلى مصدرِي النَّهْيَيْنِ المتقدّمين قريباً وهما: قَفُوْا ما ليس به عِلْمٌ،

⁴⁰ نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، 121/2.

⁴¹ الإسراء 38.

والمشئي في الأرض مَرَحاً. والثاني: أنه أُشِيرَ به إلى جميع ما تقدّم من المناهي. و"سَيِّئَةٌ" خبرٌ كان، وأُنْتُ حَمَلًا على معنى "كُل"، ثم قال "مَكْرُوهًا" حَمَلًا على لفظها.⁴²

وقراءة "سيئة" بالنصب والتأنيث هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب والأعرج وابن محيصن واليزيدي، وهو خبر "كان" واسمها ضمير "كل"⁴³. وتوجيه السّمين الحلبي لهذه القراءة يعني: كل ما نهى الله عنه مما وصف في هذه الآيات كان سيئة مكروهاً.

اسم إن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾⁴⁴. يقول السّمين الحلبي: (قوله: "آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" و"آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" قرأ "آيَاتٍ" بالكسر في الموضعين الأخوان، والباقون برفعهما. ولا خلاف في كسر الأولى لأنها اسم "إن". فأما "آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" بالكسر فيجوز فيها وجهان، أحدهما: أنها معطوفة على اسم "إن"، والخبر قوله: "وفي خَلْقِكُمْ". كأنه قيل: وإن في خَلْقِكُمْ وما يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ. والثاني: أن تكون كُرِّرَتْ تأكيداً لآيات الأولى، ويكون "في خَلْقِكُمْ" معطوفاً على "في السماوات" كُرِّرَ معه حرفُ الجرِّ توكيداً. ونظيره أن تقول: "إن في بيتك زيدا

⁴² السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج7، ص356.

⁴³ انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 240/3. الخطيب، معجم القراءات، 65/5.

⁴⁴ الجاثية 2-3.

وفي السوق زيداً فزيداً الثاني تأكيداً للأول، كأنك قلت: إنَّ زيداً زيداً في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطفٌ على معمولي عاملين البتة⁴⁵.

الحال:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾⁴⁶. يقول السمين الحلبي: (قوله: "بَيَاتًا" فيه ثلاثة أوجه أحدها: أنه منصوبٌ على الحال، وهو في الأصل مصدر، بات يبيثُ بَيْتًا وَبَيْتَةً وَبَيَاتًا وَبَيْتُوتَةً. قال الليث: "البَيْتُوتَةُ دخولك في الليل" فقلوه "بَيَاتًا" أي بئتين. وَجَوَّزُوا أن يكون مفعولاً له، وأن كون في حكم الظرف. وقال الواحدي: "قوله بَيَاتًا: أي ليلاً"، وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً، لولا أن يُقال: أراد تفسير المعنى⁴⁷).

التمييز:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁴⁸. يقول السمين الحلبي: (قوله تعالى: "صِدْقًا وَعَدْلًا": في نصبهما ثلاثة أوجه أحدها: أن يكونا مصدرين في موضع الحال أي: تَمَّتِ الكلمات صادقَاتٍ في الوعد عادلَاتٍ في

⁴⁵ السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص634.

⁴⁶ الأعراف 4.

⁴⁷ السمين الحلبي، الدر المصون، ج5، ص250.

⁴⁸ الأنعام 115.

الوعيد. الثاني: أنهما نصب على التمييز، قال ابن عطية: "وهو غير صواب" وممن قال بكونه تمييزاً الطبري وأبو البقاء. الثالث: أنهما نصب على المفعول من أجله أي: تَمَّتْ لأجل الصدق والعدل الواقعين منهما، وهو محلُّ نظر، ذكر هذا الوجه أبو البقاء⁴⁹.

وقراءة "كلمات" بالجمع هي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر⁵⁰. وأما توجيه السّمين الحلبي لكلمتي "صدقاً وعدلاً" فهو كما يأتي:

أولاً: نصب الكلمتين على الحالِية.

ثانياً: نصب الكلمتين على التمييز.

ثالثاً: نصب الكلمتين على العلة (المفعول لأجله).

والتوجيهين الأول والثاني نجدهما عند مكّي في مشكل القرآن حيث يقول: "صدقاً وعدلاً" مصدران، وإن شئت جعلتهما في موضع الحال بمعنى: صادقة وعادلة⁵¹.

وهنا نجد أنّ توجيه السّمين الحلبي يطابق توجيه العكبري في التبيان حيث يقول: قوله تعالى: "صدقاً وعدلاً" منصويان على التمييز، ويجوز أن يكونا مفعولاً لأجله، وأن يكونا مصدرًا في موضع الحال⁵².

⁴⁹ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج5، ص124.

⁵⁰ انظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ. ص266، ابن الجزري، النشر، 262/2، الخطيب، معجم القراءات، 531/2.

⁵¹ مكّي بن أبي طالب، إعراب مشكل القرآن، 307/1-308.

⁵² العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق عليّ البجاوي، البابي الحلبي. 247/2.

الاستثناء:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁵³. يقول السمين الحلبي: (قوله "غيره" قرأه الكسائي بخفض الراء في جميع القرآن، والباقون برفعها. وقرأ عيسى بن عمر "غيره" بالنصب. فالجرُّ على النعت أو البدل من "إله" لفظاً. والرفعُ على النعتِ أو البدل من موضع "إله" لأنَّ "من" مزيدةٌ فيه، وموضعهُ رفع: إمَّا بالابتداء وإمَّا بالفاعلية. ومنع مكي في وجهِ الجر أن يكونَ بدلاً من "إله" على اللفظ قال: كما لا يجوزُ دخولُ "من" لو حذفتُ المبدل منه لأنها لا تدخل في الإيجاب وهذا كلامٌ متهافت. والنصبُ على الاستثناء، والقراءتان الأولىان أرجح؛ لأنَّ الكلامَ متى كان غيرَ إيجاب رَجَحَ الإتياع على النصب على الاستثناء، وحكمٌ "غير" حكمُ الاسمِ الواقع بعد "إلا". و"من إله" إذا جعلته مبتدأ فلك في الخبر وجهان أظهرهما: أنه "لكم" والثاني: أنه محذوفٌ أي: ما لكم من إله في الوجود أو في العالم غير الله، و"لكم" على هذا تخصيصٌ وتبيين)⁵⁴. وقراءة النصب "غيره" هي قراءة عيسى بن عمر، وابن محيصن والكسائي.

النعت:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنَّ

⁵³ الأعراف 59.⁵⁴ السمين الحلبي، الدر المصون، ج5، ص354.

اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا⁵⁵. يقول السّمين الحلبي: (قوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ" : فيه قولان، أظهرهما: أنه استثناء متصل، والمستثنى منه قوله "فَخُدُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ" والمُسْتَثْنُونَ على هذا قومٌ كفارٌ، ومعنى الوصلة هنا الوصلةُ بالمعاهدةِ والمهادنةِ، وقال أبو عبيد: "هو اتصالُ النسب" وغلطة النحاس بأن النسب كان ثابتاً بين النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والصحابة وبين المشركين، ومع ذلك لم يمنعهم ذلك من قتالهم. والثاني: أنه منقطع وهو قول أبي مسلم الأصفهاني، واختيار الراغب. قال أبو مسلم: لَمَّا أوجِبَ اللَّهُ الهَجْرَةَ على كُلِّ مَنْ أسْلَمَ استثنى مَنْ له عَذْرٌ فقال: "إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ" وهم قوم قصدوا الهجرة إلى الرسول ونصرته، وكان بينهم وبين المسلمين عهدٌ فأقاموا عندهم إلى أن يمكنهم الخلاص واستثنى بعد ذلك مَنْ صار إلى الرسول وإلى أصحابه لأنه يخاف الله فيه، ولا يقَاتِلُ الكفارَ أيضاً لأنهم أقاربه، أو لأنه يخاف على أولاده الذين هم في أيديهم، فعلى هذا القول يكون استثناءً منقطعاً، لأن هؤلاء المستثنى لم يدخلوا تحت قوله: "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ" والمستثنون على هذا مؤمنون⁵⁶.

و "بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ" يجوز أن يكون جملةً من مبتدأ وخبر في محل جرّ صفةً ل "قوم" ويجوز أن يكون "بينكم" وحده صفةً لـ "قوم" فيكون في محلّ جرّ ويتعلّق بمحذوف، و"ميثاق" على هذا رفعٌ بالفاعلية؛ لأنّ الظرفَ اعتمد على موصوفٍ، وهذا الوجه أقرب؛ لأنّ

⁵⁵ النساء 90.

⁵⁶ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج4، ص64.

الوصفَ بالمفردِ أصلٌ للوصفِ بالجملة. قوله: "أَوْ جَاؤُكُمْ" فيه وجهان: أظهرهما: أنه عطفٌ على الصلة، كأنه قيل: أو إلا الذين جاؤوكم حَصِرَتْ صدورهم، فيكون المستثنى صنفين من الناس، أحدهما واصلٌ إلى قومٍ معاهدين، والآخر مَنْ جاءَ غيرِ مقاتِلٍ للمسلمين ولا لقومِهِ. والثاني: أنه عطفٌ على صفةٍ "قوم" وهي قوله "بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ" فيكون المستثنى صنفاً واحداً يختلف باختلافٍ مَنْ يصل إليه من معاهدٍ وكافرٍ.

وهنا يوجه السمين الحلبي قراءة "أو جاؤوكم" بوجود العاطف كما وجهها النحاة والمفسرون بالعطف على الصلة أو صفة لقوم.

البديل:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁵⁷. يقول السمين الحلبي: (قوله تعالى: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ": المشهورُ رَفَعَهُ على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ أي: هو بديعٌ. وقرئ بالجرِّ على أنه بدلٌ من الضميرِ في "له" وفيه الخلافُ المشهورُ. وقرئ بالنصبِ على المدحِ، وبديعُ السَّمَاوَاتِ من بابِ الصفةِ المشبهة أضيفتُ إلى منصوبِها الذي كانَ فاعلاً في الأصلِ، والأصل: بديعُ سَمَاوَاتِهِ، أي بدَعَتْ لمجبيها على شكلِ فائقٍ حسنٍ غريبٍ، ثم شُبِّهَتْ هذه الصفةُ باسمِ الفاعلِ فَتَصَبَّتْ ما كانَ فاعلاً ثم أُضيفتُ إليه تخفيفاً، وهكذا كلُّ ما جاءَ من نظائره، فالإضافةُ لا بدَّ وأن تكونَ من نصبٍ لنلاً

يلزم إضافة الصفة إلى فاعليها وهو لا يجوز، كما لا يجوز في اسم الفاعل الذي هو الأصل⁵⁸.

وهنا نجد السّمين الحلبي يوجه قراءة الجرّ "بديع" على أنّها بدل من الضمير على رأي من يجوز الإبدال من الضمير. ويقول القرطبي في تفسير "بديع السموات والأرض": (أي مبدعهما، فكيف يجوز أن يكون له ولد؟ و "بديع" خبر ابتداء مضمّر، أي: هو بديع. وأجاز الكسائي خفضه على النعت لله - عز وجل-) ⁵⁹.

وقد وافق السّمين الحلبي في توجيهه لهذه القراءة كلّاً من أبي السعود والزمخشري، حيث يقول أبو السعود في تفسيره للآية السابقة: (وقرئ بالنصب على المدح "بديع" وبالجرّ على أنّه بدل من الضمير في "له" عند من يجوز الإبدال من الضمير المجرور)⁶⁰.

ويقول الزمخشري في تفسيرها: (وقرئ "بديع السموات" مجروراً على أنّه بدل من الضمير في "له")⁶¹.

العطف:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

⁵⁸ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج2، ص85.

⁵⁹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 234/1.

⁶⁰ أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 327/1.

⁶¹ الزمخشري، الكشاف، 235/1.

يَعْمُونَ. وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ. وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾. يقول السّمين الحلبي: (قوله: "وقيله": قرأ حمزة وعاصم بالجرّ. والباقون بالنصب. فأما الجرّ فعلى وجهين، أحدهما: أنّه عطف على «الساعة» أي: عنده علم قيله، أي: قول محمد أو عيسى عليهما السلام)٦٣.

وقراءة "وقيله" التي تحدّث عنها السّمين الحلبي هي قراءة عاصم وحمزة والأعمش والسلمي وابن وثّاب. وهي رواية أبي الضرير عن أصحابه عن يعقوب٦٤. وتوجيه أبي السعود لها بالعطف على "الساعة" في قوله: "وعنده علم الساعة وإليه تُرجعون". فيكون التقدير: وعنده علم الساعة، وعنده علم قيله، أي: علم قوله-صلى الله عليه وسلم-

الخاتمة:

لقد هدفت من مقالتي هذه إلى تبيان أهمية التوجيه النحوي وبيان الأوجه الإعرابية للقراءات القرآنية في فهم النص القرآني من ناحيتين: الأولى إبراز الناحية الإعجازية لتعدد القراءات للآية الواحدة، والثانية: إبراز دور التوجيه النحوي للقراءات في المساعدة على

٦٢ الزخرف 85-88.

٦٣ السّمين الحلبي، الذرّ المصون، ج9، ص611.

٦٤ انظر: البنا، إتحاف فضلاء البشر، ص 387. العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 1143/2. ابن مجاهد، السبعة في

القراءات، ص 589. الخطيب، معجم القراءات، 411/8.

استنباط الأحكام الشرعية من الآيات. وقد اتخذت السمين الحلبي مثلاً لاهتمامه بالتوجيه النحوي للقراءات. كما أنني لم أستقص جميع الوجوه النحوية تحاشياً للتطويل.

ومما يمكن الوصول إليه من هذه المقالة أنّ اهتمام السّمين الحلبي بالتوجيه النحوي

للقراءات نابع من قناعته _ كما هي قناعة أكثر المفسرين_ بأنّ للإعراب ووجوه النحو دور مهمّ في فهم النصّ القرآني، فلا يمكن فهم النصّ القرآني دون فهم الموقع الإعرابي لكلماته وجمله. وكما قال العلماء: "الإعراب فرع المعنى". على أنّ الواضح من منهج السّمين الحلبي أنّه يستخدم وجوه النحو لفهم القراءات لا للحكم عليها صحة أو ضعفاً أو شذوذاً. ويفهم من منهجه أنّ النصّ القرآني حجة على النحو لا العكس. فلا يمكن الحكم بشذوذ قراءة ما لمجرد مخالفتها قواعد النحو.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

بسام رضوان عليّان، مقالة بعنوان "منهج السّمين الحلبي في توجيه القراءات في تفسيره الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية،

المجلد العشرون، العدد الثاني، ص37_67، حزيران 2012.

عبد الواحد بن محمد الحربي، مسائل التصريف عند السّمين الحلبي من خلال كتابيه الدّر المصون وعمدة الحفاظ دراسة وتقويم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،

1423هـ.

عبد الله بن عبد العزيز الطريفي، اعتراضات السّمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان، دراسة نحوية صرفية، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،

1420هـ.

ابن عطية، المحرّر الوجيز، تحقيق: عبد السلام محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،

1422هـ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، ط2، بيروت: دار طيبة للنشر

والتوزيع، 1420هـ.

ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، ط1، دمشق: دار

القلم، 1412هـ.

الزمخشري، الكشاف، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاکر، ط1، بيروت: مؤسسة

الرسالة، 1420هـ.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط4، القاهرة: دار الكتب المصرية،

1384هـ.